**خطبة(22)**

**(أصل مهم) يحتاجه العامي وطالب العلم ليعصم من الزلل**

**(عقوبة من لم يشكر النعم)**

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**فضيلة الشيخ : زيد بن مسفر البحري**

**elbahre.com/zaid**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

تَحَدَّثنا في خُطَبٍ سالِفةٍ عن سبعةٍ وسبعين أصلًا بعدَ المئة مِن الأصول المهمّة التي يحتاجها العامّيّ وطالِبُ العِلم في هذا الزَّمَن حتّى يُعصَمَ بإذن الله عزّ وجلّ مِن الزَّلَل

**: الأصل الثَّامن والسَّبعون بعدَ المِئة**

مَن أعطاهُ الله عزّ وجلّ النِّعَم فَلَم يَشكُر اللّهَ عزّ وجلّ عليها ، فهو قادرٌ عزّ وجلّ على أن يَسلُبَ تلكَ النِّعَم مِنْهُ في لَمْحَةِ بَصَر وَلَو بَلَغَ مِن المُلك والقُوّة والثراء ما بَلَغ

في الصَّحِيحَين قال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم " إنّ ثلاثةً في بَنِي إسرائيل أبْرَص وأقْرَع وأَعمَى أرادَ اللهُ أن يَبْتَلِيَهُم فَبَعَثَ إليهم مَلَكًا، فَأَتَى - يعني أتى المَلَك - فَأَتَى إلى الأبرص فقال : أيُّ شَيْءٍ أحبُّ إليك ؟ قالَ : جِلدٌ حَسَن ولَونٌ حَسَن ، ويَذهَبُ عَـنِّي هذا الذي قَذِرَني النَّاسُ بهِ . فَمَسَحَه ، فَذَهَبَ عنه قَذَرُه ، وأُعْطِيَ جِلدًا حَسَنًا ولَونًا حَسَنًا . فَقالَ لهُ : أَيُّ المالِ أَحَبُّ إليك ؟ قالَ : الإبِل . فَأُعْطِيَ ناقةً عُشَراء - يعني أُعْطِيَ ناقةً حامِلًا - فَقالَ : باركَ اللهُ لكَ فيها

ثُمَّ أتى إلى الأقْرع ، فَقالَ لهُ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إليك ؟ فقال : شَعْرٌ حَسَن ، ويَذهبُ عَنِّي هذا الذي قَذِرَني الناس . فَمَسَحَه ؛ فَذَهَبَ عَـنْـهُ وأُعطِيَ شَعْرًا حَسَنًا . ثُمَّ قال : أيُّ المالِ أَحَبُّ إليكَ ؟ قال : البَقَر . فأُعطِيَ بقرةً حامِلًا فقال : باركَ اللهُ لكَ فيها

ثُمَّ أتى إلى الأعمى فُقال : أيُّ شَيْءٍ أحبُّ إليك ؟ فقال : يَرُدُّ الله عليَّ بَصَرِي ، فأُبْصِرُ به الناس ، فَمَسَحَه ؛ فَذَهَبَ عَـنْـهُ . فَقالَ : أيُّ المالِ أَحَبُّ إليك ؟ قالَ : الغَنَم . فأُعطِيَ شاةً والِدًا

فكانَ لِهَذَا وادٍ مِن الإبل ، ولِهذا وادٍ مِن البَقَر ، ولِهذا وادٍ مِن الغَنَم

ثُمَّ أَتَى - يَعني المَلَك - ثُمَّ أَتَى على صُورَتِه وهَيئَته إلى الأبرص فقال : رَجُلٌ مِسكين انقَطَعَت بِيَ الحِبال في سَفَري ، فلا بَلاغَ لِيَ اليوم إلّا بِاللهِ ثُمَّ بِـكَ ، أسألُكَ بِالذي أعطاكَ اللونَ الحَسَن والجِلدَ الحَسَن والمال بَعيرًا أتَبَلَّغُ بهِ في سَفَرِي . فَقالَ لهُ الأبرص : الحُقوقُ كثيرة . فَقالَ المَلَك : كَأنِّي أَعْرِفُك ، أَلَمْ تَكُنْ أبْرَص فَشَفاكَ الله ، وكُنتَ فقيرًا فأغْناكَ الله ؟! فقال : إنّما ورِثتُ هذا المال كابِرًا عن كابِر (يعني : عن شَريف مِن شَريف ، أو عن أب إلى جَدّ إلى جَدّ) فَقالَ لهُ : إن كُنتَ كاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى ما كُنتَ

ثُمَّ أَتَى إلى الأقْرع فَقالَ لهُ مِثْلَ ما قال لِلأبرص ، فَردَّ عَلَيْهِ الأقرَع مِثْل ما رَدَّ عليه الأبرص

ثُمَّ أَتَى إلى الأعمى فَقال : رَجُلٌ مِسكين وابنُ سَبيل انقَطَعَت بِيَ الحِبال في سفَري ، فلا بَلاغَ لِيَ اليوم إلّا بالله ثُمَّ بِكَ . أسأَلُكَ بالذي ردَّ عليكَ بَصَرَك شاةً أَتَبَلَّغُ بِها في سَفَرِي . فَقالَ الأعمى : قد كُنتُ أعمى فَرَدَّ اللهُ إليَّ بَصَري ،وكنتُ فقيرًا فَأغْنانِي الله ، فَخُذْ ما شِئتَ ودَعْ ما شِئت ، فَوَالله لا أَجْهَدُكَ شيئًا أَخَذتَهُ لِلّه فَقالَ لهُ : أَمسِكْ مالَك ، فإنّما ابتُلِيتُم ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عنكَ ، وسَخِطَ على صاحِبَيْك "

هذا الحديثُ لهُ فوائدُ كثيرة جدًّا ، لَكنّني أقْتَصِرُ على الفوائد المُتعلِّقة بِالتَّوْحِيدِ ، وتلكَ الفوائد هي بِمَثابةِ الأصول :

**▪مِن الفوائد**

أنّ الأبرصَ والأقرَعَ ، سَأَلَا ماذا ؟

الجِلد الحَسَن واللَّون الحَسَن ، وذاكَ سألَ الـشَّعرَ الحَسَن

لَكِنَّ الأعمى بهِ قَناعَة قال : يَرُدُّ اللهُ إلَيَّ بَصَري ، فَأُبْصِرُ به الناس . لَمْ يَقُل أُريدُ بَصَرًا ثاقِبًا

وهذا يدلّ على ماذا ؟

يدلّ على ما قالهُ صلّى الله عليه وآله وسلّم كما عِنْدَ مُسلم " إنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إلى صُوَرِكم ، وَلَكِنْ يَنظُرُ إلى قُلوبِكم وأَعمالِكم"

**▪وَمِنَ الفوائد**

أنّ المَلَك فَـعَـلَ الـسَّــبـَب ، مَسَحَ على الأبرص والأقرع والأعمى فَشَفاهُم اللهُ عزّ وجلّ بِسَببِ هذه المَسْحَة

فدلّ هذا على ماذا ؟

على فِعْلِ الأسْباب

**▪وَمِنَ الفوائد**

أنّ الأبرص بهِ نَوعٌ مِن أنْواعِ الكِبْر بِخِلاف الأعمى فَبِهِ التواضع ، لِأنّه مِن حيثُ الأصل إِنْ لَمْ يَعْصِمِ اللهُ عزّ وجلّ صَاحِبَ الإبِل وإلّا وَقَعَ في الكِبر والخُيَلاء

هذا الأبرص طَلَبَ ماذا ؟ طلبَ الإبل

النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كما عِنْدَ مُسلم قال "الكِبر والخُيَلاء في أهلِ الإبِل"

وقال "والسَّكِينةُ (التَّواضُع) في أهلِ الغَنَم"

**▪وَمِنَ الفوائد**

أنَّ هذا المَلَك سَأَل اللهَ عزّ وجلّ مُتَوَسِّلًا بأفعالِه ، فأفعالُ الله يُـؤخَـذُ منها صِفات لِلّه عزّ وجلّ . ولِذا ماذا قال له " أسألُكَ بالذي أعطاكَ اللونَ الحَسَن والجِلدَ الحَسَن "

مَن الذي أعطاهُ ؟ هو الله

فِعْلٌ مِن الله ، صِفَةٌ مِن صِفات الله

ودلّ هذا على أنّ التَّوسُّلَ لايجوزُ إلّا في ثلاثِ حالات . ما عَدَاها فَهُوَ تَوَسُّلٌ مَذمومٌ بَعْضُهُ يُوقِعُ صاحِبَه في الشِّرك

**التَّوَسُّلُ الجائز ثلاثةُ أنواع :**

**- مِن التَّوَسُّل الجائز : أن تَتَوَسَّلَ إلى الله بِأسمائه وبِصِفاته**

كَأَن تقول : يا الله ، يا رحمن ارحمني ، يا غَنيّ أغْنِني

أو بِصِفَةٍ مِن صِفاته : بِرَحمَتِكَ أَسأَلُكَ كذا وكذا

**-النوع الثاني مِن أنواع التوسُّل الجائز**

أن تَتَوَسَّلَ إلى الله بِدُعاء الصَّالِحِين ، لا بِذَواتِهِم . كأنْ تأتِيَ إلى شخصٍ صَالِح وتقولُ له : ادْعُ لي

لَكِن انْتَبِهْ ، إذا قُلتَ لهُ ادعُ لي ، فأنتَ تُريدُ ماذا ؟ أن تَنفَعَه وأن تَنفَعَ نفسَك . لِمَ ؟

لِأَنَّه إذا دَعا لكَ ، فَهُناك مَلَك ، إذا دَعا المسلمُ - كما جَاءَ في الحديث الصحيح - " إذا دَعا الْمُسْلِمُ لِأَخيهِ في ظَهرِ الغَيب فيقولُ المَلَك : وَلَكَ بِالمِثل "

ولذلك في النوع الثاني تَوَسَّلَ الصحابةُ رَضِيَ الله عنهم بِدُعاء العبّاس بن عبدالمُطّلِب . فقامَ العَبّاس فسألَ اللهَ أن يَسقِيَهُم المطر في عَهدِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه

أمّا النَّوع الأوّل فَدَلِيلُه قوله تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا }

**-النوع الثالث مِن أنواع التَّوَسُّل الجائز :**

أن تَتَوَسَّلَ إلى الله بِعَمَلٍ صالحٍ قُمْتَ به أنتَ لَمْ يَقُمْ به غيرك

كَأَن تقول : ياربِّ ، إن كان هذا العَمَل ابْتِغَاء وَجهِك فَفَرِّج عنّي أو فَارزُقْني . فهذا جائز

ولذلك ، أولئك الثلاثة الذين انطَبَقَت عليهم الصخرة ، سَأَلوا اللهَ بِأَحَبِّ الأعمال إليهم حَتَّىٰ انفَرَجَت عنهم الصخرة ثُمَّ خَرَجُوا

فَالمَلَك ماذا قال ؟

" أَسأَلُكَ بالذي أعطاكَ اللَّونَ الحَسَن والجِلدَ الحَسَن والمال ، بعيرًا أَتَبَلُّغ به في سَفَري "

**▪وَمِنَ الفوائد**

أنّ المَخلوقَ إذا ذُكِرَ مع الله في أمْرٍ يستطيعُه المَخلوق لابُدَّ أن تأتِيَ بكلمة ( ثُمَّ)

ولذلك المَلَك ماذا قال ؟

)" فَلا بَلاغَ لِيَ اليومَ إلّا بِاللهِ ثُمَّ بِـكَ " ( ثُمَّ بِك

) هذا إذا كان قادِرًا على هذا الشيء ، تأتي بكلمة ( ثُمَّ

أمّا لو قُلتَ ( إلّا بِاللهِ وبك ) فهذا شِركٌ أصغر

فإن أردتَ أنّه مِثْلُ الله تَمامًا : فَيَكُونُ شِركًا أَكبَر

**▪وَمِنَ الفوائد**

أنّه يجوزُ أن تُعَلِّق دُعاءَك على شَرط ، فهذا المَلَك ماذا قال ؟

قال " إن كُنتَ " - هُنا شَرطِيّة -

" إن كُنتَ كاذبًا ، فَصَيَّرَكَ اللهُ إلى ما كُنت .."

ولذلك لو أنّ الإنسان مثلًا في دُعائه يقول : يا ربِّ إن كانَ هذا الشيء فيه خَيْرٌ لي فَيَسِّرهُ لي .

هذا جائز . بِشَرط أن يكون المقصود أنَّك تُفَوِّضُ أَمْرَك إلى الله في مِثْل هذا الشيء المطلوب

ولذلك شُرِعَتْ لنا الاستِخارة كما عند البخاريّ ( اللَّهُمَّ إن كُنتَ تعلم هذا الأمر خَيْرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وآجله ، فَاقدُرْهُ لي ) مِن باب تفويض الأمر إلى الله ؛

لأنّكَ ما تدري هل المَصلَحَة في هذا الأمر الذي سألتَ اللهَ هذا الشيء أم أنَّك لا تدري هل المصلحة في غَيره . فالله أَعْلَمُ بذلك

لَكِنْ لَوْ أنّ الإنسان قَيَّدَ دُعاءَهُ بِشَرطٍ مُستَغنيًا عن الله . هذا حرام

ولذلك ماذا قال صلّى الله عليه وآله وسلّم كما ثَبَتَ عنه " لا يَقُل أحَدُكُم : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إن شِئتَ ، اللَّهُمَّ ارحمنِي إن شِئتَ . لِيَعزِم المسألة "

**▪ومِن الفوائد**

أنّ الإنسانَ لَوْ قالَ إذا سُئل : يا فُلان ، ماهذا المال الذي لديك ؟ كيف تَحَصَّلتَ عليه !

لَوْ قالَ : وَرِثْتُهُ مِن آبائي وأجدادي أو مِن كابِر إلى كابِر على سبيل الخَبَر . فلا إشكالَ في ذلك ، فلا حَــرَجَ ؛ لِأَنَّ الإرث جَعَلَهُ الشَّرع سَبَبًا لِلتَّمَلُّك . هذا مُجرّد خَبَر ، يُخبِرُهُ

لَكِنْ هُنا ، هذا الأبرص لمّا قال ( وَرِثتُه كابِرًا عن كابِر ) ماذا أراد ؟

أرادَ أن يَنسُبَ النِّعمةَ إلى غيرِ الله ، أرادَ أن يَنسُبَ النِّعمةَ إلى غير الله ، أن يَنسُبَها إلى أشرافِه وإلى آبائه وإلى أجدادِه .

كما قال قارون { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ... } لكنّ الإنسان إذا أَخْبَرَ مُجرّد خَبَر ،

مِن أين هذا المال ؟

وَاللهِ ، ماتَ أبي . أو مات فُلان الذي أَرِثُهُ ، فَوَرِثْتُ هذا المال . فلا حَــرَجَ في ذَلِكَ على سبيلِ الإخبار

**▪وَمِنَ الفوائد**

أنّ هذا الأعمى شَكَرَ الله ، فَرَضِيَ الله عنه

شكرَ الله بِأركانِ الشُّكْرِ الثلاثة

**الــشُّـــكــر لا يَتمّ إلّا بِثلاثةِ أركان :**

- أن تَشكُرَ الله بِلِسانك : مُتَحَدِّثًا بالنِّعمة تواضُعًا لِلّه ، لا مِن أجْلِ التَّكَبُّرِ على الناس { وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ }

- أن تَشكُرَ الله بِقَلبِك : فَتَعْتَقِد أنّ هذه النِّعمة مِن الله لا مِن حَوْلِك ولا مِن قُوَّتِك ولا مِن تِجارتِك ولا مِن ذكائك . لا كما قاله قارون { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي }

ولذلك ماذا قال تعالى { وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّه }

- أن تَشكُرَ الله عزّ وجلّ

هو الرُّكنُ الثَّالِثُ : أن تَشكُرَ الله بِجَوارِحك ، قال تعالى { ... اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }

هذا الأعمى أَتَى بِأركان الشُّكر الثلاثة

▫الشُّكرُ بِالقلب وبِاللسان وبِالجوارِح

ماذا قال ؟

قال ( قد كنتُ أعمى فَرَدَّ الله إلَيَّ بَصَري ، وكنتُ فقيرًا فَأغْنانِي الله )

▫تَحَدُّث بِنِعمةِ الله عزّ وجلّ . نَطَقَ بها على لِسانه

▫الشُّكرُ بِالجَوارح : ماذا قال له ؟ ( خُذْ ما شِئتَ وَدَعْ ما شِئتَ ) ( خُذْ ما شِئتَ وَدَعْ ما شِئتَ )

) الشُّكرُ بالقلبِ ، قال ( فَوَاللهِ ، لا أَجْهَدُكَ شيئًا أَخَذتَهُ لِلّهِ

دليلُ الإخلاص ودليلٌ على صِدقِ ما في قَلْبِهِ

هذه فوائد هي بِمثابة الأصول تحت هذا الحديث الذي يَندرِج تحتَ ماذا ؟

تحتَ هذا الأَصْل العظيم : ( إذا أعطاكَ الله عزّ وجلّ نِعمةً فَاشكُرِ اللهَ عزّ وجلّ عليها ، فإن لَم تَشكُرِ اللهَ ، فَاللهُ قادِرٌ على أن يُزيلها مِنْكَ في لَمحَةِ بَصَر وَلَوْ بَلَغْتَ مِنَ المُلْك والقُوّة والثراء والخَدَم والحَشَم ما بَلَغْتَ )